تاريخ القرآن الكريم

١ — الباحث فى تاريخ القرآن الكريم إنما يعنى تاريخ ظهوره بيننا معشر أهل الأرض ، بنزوله على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما تلا ذلك من جمعه وتدوينه والعناية به فى سائر الأعصار ؛ وإلا فكلام الله عز وجل قديم بقدمه تبارك اسمه ؛ وكيف يكون للقديم تاريخ وقد سبق كل تاريخ ؟

٢ — والباحث المسلم فى عصرنا هذا يجد فى طريق بحثه فى هذا الموضوع عبرات من الشبه والمطاعن يثيرها فرق من الناس :

« أولاها » فرقة من اليهود والمجوس والزنادقة ، دخلوا فى الاسلام فى إبان انتشاره ودولته ، وإنما دخلوا فيه ظاهراً ليحسنوا الكيد له فى الخفاء ؛ فمنهم من أولوا نصوص القرآن وحملوها على معان باطنية ، تنهار معها أصول الاسلام وفروعه ، وتنتكس بها العقائد والتكاليف الاسلامية رأساً على عقب ؛ ومنهم من أظهروا التشيع لأهل البيت الكرام قبيل انتهاء القرن الأول الهجرى ، واختلقوا أحاديث فى النيل من أبى بكر وعمر وأكثر الصحابة رضى الله عنهم ، وزعموا أن عثمان رضى الله عنه وسائر من معه من الصحابة والتابعين حرفوا القرآن ، وحذفوا منه كلمات وسوراً فى فضل على كرم الله وجهه حسداً منهم له وبغياً عليه ؛ وذكروا من هذه الكلمات والسور ما لو سكتوا عنه لكان أستر لهم وأقل خزياً وفضيحة .

وقد قام علماء الأمة من المتقدمين ببيان زيفهم ورد كيدهم فى نحرهم ، وتعقبوا الأحاديث وغربلوها ، ومازوا صحيحها من موضوعها ، وفى سبيل ذلك تتبعوا سير الرواة وفحصوا عن سجاياهم وعقولهم وأماناتهم وعلمهم وقوة ذاكرتهم واتصالهم بما

يروون، وغير ذلك مما يطمئن القلوب إلى صحة مروياتهم، وكرسوا فى ذلك جهوداً وأنفقوا أعماراً طوالا، مما أثار دهشة العالم الألمانى « اشبرَه نكر » حتى قال « إن الدنيا لم تر ولن ترى أمة مثل المسلمين ؛ فقد درسوا بفضل علم الرجال الذى أوجدوه حياة نصف مليون[1] رجل » .

« وثانية الفرق » فرقة من أهل الغرب دأبت منذ قرنين على البحث فى تاريخ الشرق والاسلام، وولعت بإحياء ما اندثر من المؤلفات، ونشر ما طوته خزائن الكتب من المخطوطات . وإنه لعمل جليل من هؤلاء « المستشرقين » يستحق الاعجاب لولا أن أربابه دسوا فى شهده السم الزعاف، فنشروا فيما نشروا مؤلفات أهل الزيغ وأخرجوها من أكفانها، تؤذى بريحها ومنظرها وملمسها ؛ وزادوا ضغثاً على إبالة، فاختطوا لأنفسهم طريقاً من البحث التاريخى ملتوية، أدت إلى نتائج خاطئة فى التاريخ عامة وتاريخ القرآن المجيد خاصة . وقد أفصح الدكتور « آثر جفرى » المستشرق الانجليزى - فى مقدمة كتاب المصاحف الذى قام بطبعه - عن بعض هذه النتائج، وشرح بوجه إجمالى، طريقة البحث التى أفضت إليها ؛ وبين أن أساس كل بحث فى علوم القرآن فى أوربا هو كتاب « تاريخ القرآن » الذى ألفه « نولدكى » الألمانى ونشره سنة ١٨٦٠م، ثم فوض إلى تلميذه « شوالى » أن يقوم بالطبعة الثانية، فضم إلى الكتاب بحوثاً حديثة، وتوفى فى أثناء عمله، فأخذ « برجستراسر » فى تكميله، وبعد موته أتم تلميذه « برتزل » طبع الكتاب .

وطريقة البحث التى تمخضت عن هذه النتائج، بل مقدمة الدكتور « آثر جفرى » كلها، بحاجة إلى كشف ما بها من الفضائح، وبيان أنها أساس غير صالح للبناء عليه، وقد عنى بعض إخواننا الفضلاء بذلك، فكتب فيه سلسلة مقالات

(١) كذا قال . ومقصوده المبالغة فى الكثرة لا التحديد

فى مجلة الأزهر الغراء ، ولـكنه شكر الله سعيه ـ لم يتم ما بدأ ، وكان هذا بعض ما حفزنى إلى الـكتابة فى هذا الموضوع الخطير .

« وثالثة الفرق » جماعات تألفت فى أوربا وأمريكا للدعاية المسيحية ، وأرسلت رسلها إلى أقطار المعمورة ، ودعتهم بالمبشرين ، وأغدقت عليهم الأموال الطائلة ، واتخذتهم حكومات الاستعمار مطايا لأغراضها ؛ إذ عرفت أنها لا يمكنها أن تثبت أقدامها فى أمة إلا بتفريق كلمة أبنائها ، وأيقنت أن هذا التفريق إنما يكون بانحطاط الأخلاق وتزلزل العقائد المتوارثة ، وتبين لها أن المبشرين إن لم ينجحوا فى نشر أديانهم بين المسلمين فقد ينجحون فى إفساد العقيدة الاسلامية بالتشكيك فى أصولها ، وبهذا ينمحى شبح التعصب الدينى الذى يجعل من الـكثرة وحدة تعكر صفو المستعمر وتقلق راحته . وقد أخلص هؤلاء الدعاة للجماعات التى استخدمتهم ، وأتقنوا فن الدعاوة الـكاذبة متمسكين بالمثل القائل : « إن الغاية تبرر الوسيلة » . ولهذا تراهم تارة يكشفون القناع ، وطوراً يتسترون بثوب الخداع ، فيبثون سمومهم باسم البحث العلمى الخالص ، والتحليل التاريخى الصادق ، ودعوى أنهم مستشرقون لا مأرب لهم إلا التنقيب عن تاريخ الشرق دون تجن أو انحراف . ومن كتبهم « ميزان الحق » للدكتور « فندر » ناضل فيه صاحبه عن التوراة والانجيل وضمنه طعوناً فى القرآن الـكريم ، ولما قام الأستاذ رحمة الله الهندى فى كتابه « إظهار الحق » بالرد على هذا الـكتاب وكان رده قويا مفحما ، قام الدكتور « فسدل » بطبعه مرة ثانية بعد أن حذف منه عبارات كثيرة وضم إليه طعوناً جديدة ، وما صنعوه بهذا الـكتاب صنعوه بغيره من الـكتب ، فـكلما ألفوا كتابا وقام أحد المسلمين ببيان عواره أعادوا طبعه بعد حذف وزيادة وربما غيروا اسمه واسم مؤلفه ليصير جديداً خالياً من الطعن ، وما ننس لا ننس كتاب « تذييل مقالة فى الاسلام » لقسيس متستر سمى نفسه بهاشم العربى وعرب كتاب مقالة فى

الاسلام لجرجيس سايل الانجليزى ووضع هذا التذييل تعليقاً على الفصل الثالث من الكتاب الذى عربه وأخذ أكثر أبحاثه من كتاب ميزان الحق . ومن مصائب الدهر أن بعض من يدعون البحث ممن يلبسون لباس المسلمين يسرقون من هذا الكتاب على سخافة أفكار مؤلفه ـ أبحاثاً ينشرونها على أنها أبحاث جديدة استكشفوها بطريقتهم العلمية . ولهم كتب أخرى كثيرة أبلى علماء الاسلام بلاء حسناً فى رد مفترياتها ، لكن كثيراً منها تجدد طبعه وأصبح بحاجة إلى نظر جديد .

« ورابعة الفرق » ـ وهى أخطرها ـ جماعة من كتاب الشرق وشعرائه تثقفوا ثقافة أوربية منذ أكثر من قرن ، قرءوا فيما قرءوا مصنفات المستشرقين والمبشرين والزنادقة الذين قذفوا بالأديان كلها إلى عالم الميتولوجيا (الأساطير) فصادف ذلك منهم قلوباً زائغة وقلوباً متهيئة للزيغ ، فاستبطنوا الالحاد وأخذوا يهيئون الأذهان له بالدس فى مقالاتهم وقصائدهم ، حتى إذا أنس لهم كثير من المتعلمين والجاهلين لم يبالوا باظهار ما أضمروه ، فى حماية القوانين المرنة ، وغفلة الغيرة الدينية ، وتحت سلطان زعامتهم الأدبية ، وولايتهم أموراً فى الدولة أحياناً ، وساروا مذبذبين بين الاظهار والاخفاء والانبساط والانقباض مراعاة للظروف وملاءمتها ، وقد كثرت مقالاتهم ومؤلفاتهم المملوءة بالشبهات ، وإنه لعسير على فرد أن يلاحقهم ، فعلى كل ذى غيرة أن يقوم بما استطاع من جهاد فى ذلك .

« وخامسة الفرق » فرقة رأت طغيان أفكار أهل الغرب على عقول أهل الشرق ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب كما يقول ابن خلدون ، فأرادوا تقريب الاسلام مما يعقله أهل الغرب ، استجلاباً لرضاهم ورضا المولعين بتقليدهم ، وتنصلا عن التهم الكثيرة التى يرمون بها الاسلام . وهذه نية صالحة تستوجب الحمد ، لكن الذى يؤسف له أنهم سلكوا لذلك أهون السبيلين عليهم وأبعدهما عن

الحق ، فتأولوا محكمات لا تخضع للتأويل ، وأنكروا مقررات لا تقبل الانكار ، فكانوا كطبيب يعالج أعراض الداء ويدع جرثومته تبيض وتفرخ ، حتى يقضى على المريض وهو معذب بآلام المرض والعلاج جميعاً ، وقد أساء بهم بعض علمائنا الظن ، فجعلوهم من الفرقة الرابعة التى استبطنت الالحاد ، لما جروه على الاسلام والقرآن من الشبه بمسلكهم المعوج .

وهناك فرق سوى هذه من كذبة القصاص ووضاع الأحاديث وجهلة المؤلفين ومحبي الشهرة والتجديد ، ظهر لهم من الروايات الباطلة والمؤلفات الفاسدة ماهو بحاجة إلى علاج حاسم .

من هذه المقدمة يتبين خطر هذا الموضوع وأنه يجب أن يحاط بسياج من التحقيق العلمى تتكسر دونه أمواج الشبهات التى يسوقها الجاهلون ، وترتد عنه أعاصير المطاعن التى يثيرها الزائغون ، وما أكثر هؤلاء وأولئك ، وما أكثر المغترين بزخارف أقوالهم والواقعين فى حبائل أساليبهم !.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

على حسن البولاقى
المدرس بالأزهر

طالب علم

حضر الشريف التلمسانى وهو صبى درس الأستاذ أبى زيد بن الامام ، فذكر الأستاذ أبو زيد نعيم الجنة ، فقال له الشريف : هل يقرأ فى الجنة العلم ؟ فقال أبو زيد : نعم ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . . . فقال الشريف : لو قلت لا ، لقلت لك : لا لذة فيها ! . فعجب منه الشيخ ، ودعا له .